لا يشركون بي شيئا ومن كفر بعد ذلك فأولئك هم الفاسقون) ولم يختلف أحد من أئمة هذا الدين في ان غايته سعادة الدنيا كما في هذه الآية وسعادة الآخرة كما في الآيات الكثيرة وان الاعراض عنه مجلبة للشقاء في الدارين قال عز وجل « ومن أعرض عن ذكري فان له معيشة ضنكا ونحشره يوم القيامة أعمى » فضيق المعيشة في الدنيا من آثار الاعراض عن كتاب الله ودينه وهو دليل على الشقاء في الآخرة بالنسبة لمجموع الامة ايضا .

فعلم مما شرحناه ان القرآن ما اخبرنا بأنه يستخلفنا بدينا في جميع أقطار الارض تتصرف فيها كما تتصرف الملوك (قاله البيضاوي في تفسير الآية) وانه سخر لنا ما في السموات وما في الارض جميعا منه وما أمرنا بأن نطلب منه حسنة الدنيا والآخرة الا وقد جعل ثمرة دينه كلا الامرين وما جاء في القرآن من ذم الدنيا فهو لتأديب المسرفين وكبح جماح المفرطين ولكن من المسلمين من انصرف الى الغلو في التزهيد عملا بنصف الدين الروحي ومنهم من انصرف الى النصف الآخر وسنبين غلط الفريقين « ومنهم من يقول ربنا آتنا في الدنيا حسنة وفي الآخرة حسنة وقنا عذاب النار. أولئك لهم نصيب مما كسبوا والله سريع الحساب »

﴿فرنسا والاسلام﴾

عجبا للدم الذي تحرك لكلام المسيو هانوتو كيف لم يتبيغ لكلام القومندان نابليون بي وعجبا للقلوب التي جرحها ذلك كيف لم يذبحها هذا بل عجبا للنفوس التي اضطربت للاول كيف لم تزلزل الثاني وجودها زلزالا الا ان قومنا لا يزلون أغرارا يغترون بالظواهر . وينخدعون للمظاهر .

ويخلبون بالاوهام * ويعيشون بالاحلام * يصيحون من السبب * ويسكتون على الضرب * ويتململون من الكلام * ولا يتألمون من الكلام « بالكسر الجراح » حاشا نفرا من أهل الفهوم * المشرفين على حقائق العلوم * و الاستثناء ـ كما قالوا ـ معيار العموم *

صاح الصائحون وناح النائحون * وكتب الكاتبون * وخطب الخاطبون * وما ذلك الا لما رواه هانوتو عن الغالين في التعصب الديني من قومه من وجوب نسف الكعبة ونقل قبر النبي صلى الله عليه وسلم الى متحف اللوفر في باريس لتنحل رابطة جامعة الاسلام * ويقع أهله في اليأس التام * ونحو هذا الهذيان * الذي يقوله طفل فلا يلتفت له سائر الصبيان * اللهم الا ما كتبه ذلك الامام * من روائع الحكم وحقائق الاحكام *

كتب نابليون بي في الاسلام والمسلمين ما كتب فعلم المسلمين من هم وما هو الاسلام لو كانوا ممن يعلم أو يتعلم * وأنى لمن يجهل تاريخ الاسلام ان يعرف تأثيره في الانام * وكيف يهرب من هذا الجهل * من يقول علماؤهم ان هذا العلم يضعف العقل . يبحث نابليون بي عن مكان تتوجه اليه وجوه المسلمين وتتولاه قلوبهم . وترمي اليه أبصارهم . وتمتد نحوه أعناقهم ليجعلوه قبلة آمالهم . وكعبة لاقبالهم . ومعهدا لاجتماعهم . ومعقدا لارتباطهم ـ لآمالهم بفرنسا واقبالهم عليها واجتماعهم في دائرتها وارتباطهم بحبل سيادتها

علم نابليون بي انه لا يوجد في الدنيا بلد من البلاد تتعلق به قلوبهم وتتوجه اليه نفوسهم الا مكة المكرمة والمدينة المنورة وأنى لفرانسا ان تقبض على زمام السلطة الاسلامية فيها ؟ ذلك ما لا مطمع فيه وقد أشار الكاتب

بأن تجعل باريس بديلا من مكة وأن تلفت اليها أنظار العالم الاسلامي بتأليف جمعية فيها من كبار علماء الاسلام من جميع الاقطار وأن يكون للجمعية جريدة اسلامية باللغات المشهورة بينهم. فهو يرى أن هذه الجمعية التي يقاد أفرادها الى أوربا بسلاسل الذهب والفضة كافية لتحويل قلوب الامة الاسلامية الى فرنسا وصرح بأن اجتماع المسلمين على دولة أجنبية أقرب من اجتماع بعضهم على بعض لما بينهم من تفرق المذاهب وتعدد المشارب.

فهل يفقه المسلمون بعد سماع هذا الكلام معنى الجامعة الاسلامية وكيف تكون وبماذا تكون؟ هل يفطنون للسر الغريب في فريضة الحج ويتنبهون الى أنه لم يوجد دين من الاديان ولا حكيم من الحكماء قدر أن يضع وضعا يجذب به أرواح الشعوب من جميع أقطار الارض الى مكان واحد فتطير بأجسامهم اليه لتقوية الجامعة الملية بينهم وهو ما وضعه دين الاسلام دين المدنية الكبرى والاجتماع؟ هل يتدبرون سوء مغبة اختلاف المذاهب في الملة التي يتبرأ كتابها ونبيها من المتفرقين في الدين ويسمون في شعب الصدع ورتق الفتق؟ هل يتفكرون بعده في معنى اجتماع العلماء وماله من النفع العميم؟ وما في اختلافهم من البلاء العظيم؟ هل يعقلون بعده فوائد الجرائد الدينية الاسلامية وآثارها

قد بينا كل هذا ودعونا اليه في مقالات الاصلاح الاسلامي التي نشرناها في المجلد الاول من المنار — دعونا الى تأليف جمعية اسلامية يكون لها شعب في كل قطر اسلامي وتكون عظمى شعبها في مكة المكرمة التي يؤمها المسلمون من جميع أقطار الارض ويتآخون في مواقفها ومعاهدها المقدسة ويكون أهم اجتماعات هذه الشعبة في موسم الحج الشريف حيث لا بد أن

يوجد أعضاء من بقية الشعب التي في سائر الاقطار يأتون الحج فيحملون الى شعبهم من المجتمع العام ما يستقر عليه الرأي من التعاليم السرية والجهرية — وقلنا هناك — وهذا أحد مرجحات وجود الجمعية الكبرى في مكة المكرمة على وجودها في دار الخلافة. وثم مرجحات أخرى من أهمها البعد عن دسائس الاجانب ووساوسهم والامن من وقوفهم على ما ينبغي عدم وقوفهم عليه في جملته أو تفصيله، ومنها أن لشرف المكان ولحالة قاصده الدينية أثراً عظيماً في الاخلاص والتنزه عن الهوى والغرض فضلا عن الغش والخيانة

وينبغي أن يكون للجمعية الكبرى جريدة دينية علمية تطبع في مكة أيضا وأية شعبة استطاعت إنشاء جريدة تنشئها. وارتأينا أن يكون من أعضاء الجمعية العاملين العلماء والخطباء ليتسنى للجمعية إفاضة تعاليمها على قلوب جميع المسلمين وبينا أعمال الجمعية ونتائجها ومنها الجمع والتأليف بين أهل المذاهب لا سيما الفرقتين العظيمتين — أهل السنة والشيعة

عاذا قابل المسلمون هذا الاقتراح؟ السواد الاعظم لا إحساس لهم ولا شعور، وأما المتصدرون للكتابة وارشاد المسلمين في الجرائد فقد مسخوه مسخا واستبروا به القصد، فأنشأوا يكتبون مقالات يحثون فيها على عقد «مؤتمر اسلامي» في القسطنطينية، ولا ينتظر من الناشئ في مفاوز الخيال، الا طلب الفوز من المحال. ولقد كان من حجتنا على هؤلاء أننا نعترف لهم باصابة رأيهم اذا وجدت جريدة من جرائد الاستانة العلية توافقهم في الدعوة اليه فان تلك الجرائد يشبه أن تكون كلها رسمية لانها لا تكتب الا ما يملى عليها أو لولاة الامر.. ثم علمنا أنه يوجد من يسعى بما اقترحناه عملا لا قولا — وما كان غرضنا من القول الا تنبيه الافكار اليه — ولكن المسلمين أمسوا أعداء

أنفسهم يلفون من نكايتها ما لا يبلغه الاجانب منهم أو كما قلت في مكتوب أرسلته منذ سنين لاحد عظماء المسلمين « ان الممالك الاسلامية أمست كالمريض الاحمق يأبى الدواء ويخافه من حيث انه دواء » ولولا رجال فضلاء منبثون في بعض الانحاء لانقطع بنا « والعياذ بالله » حبل الرجاء

قال هذا الضابط ان الوحدة الاسلامية النظرية « كذا » قد تمزقت بالفتوحات المتوالية وانشقت الى أقسام دينية لا حدود لها ولا نظام لحكومتها. وقال قبل هذا ان الاسلام أصابه الشلل من سوء ادارة مدبريه ومديري شؤونه وكرر القول بأن دوام فتوحات أوربا المسيحية قد آلمت المسلمين فطفق يتقرب بعضهم من بعض وأحسوا بالحاجة الى الاجتماع. وحث أمته أن تكون الجامعة الاسلامية على يديها وبيديها. وعنده أنه لا يمكن أن توجد بنفسها وانها اذا وجدت فانها تنحل بعد ثلاثة أشهر من وجودها. ثم صرح بأنه لا ينقص الحركة نحو الجامعة الاسلامية الا شيء واحد اذا وجد تكون به قوة الاسلام وغلبته ألا وهو اختيار مكان غير تابع لدولة من الدول يتم به الائتمار بين الفرق الاسلامية المختلفة فان عدم وجود هذا المكان هو السبب في عدم استقرار الفرق الدينية الاسلامية في مكان ثابت، فلكل منها آثار تتفاوت في الشدة أو الضعف في بغداد ومصر والاستانة وفارس والهند وأفريقية. قال ولو اهتدى رؤساء تلك الفرق الى وجود بقعة على سطح الارض تكون للاسلام بمثابة رومية أو الفاتيكان للمسيحيين فلا ينقضي زمن يسير حتى ينعقد فيها مجتمع اسلامي يخضع لارادته العالم الاسلامي بأسره وعقب هذا بالتنبيه على عموم دعوة الاسلام يشير الى أن هذا المجتمع لا بد أن يصل مده الى اطراف العالم الانساني

ونقول نحن أين رومية والفاتيكان من مكة ؟ — رومية لا يحج اليها النصارى ولا يؤمن لخبرها الاعظم جميع فرقهم، ولا يوجد مسلم يؤمن بنبوة محمد صلى الله عليه وسلم الا ويستقبل في صلاته مكة ويحج اليها عند الاستطاعة، لا فرق بين سني وشيعي ووهابي وخارجي... ولكن أمراء المسلمين وسلاطينهم هم الذين جنوا على الاسلام وأهله مالم يجنه الاعداء فجعلوا البلاد المقدسة دون سائر البلاد فأخذهم الله بذنوبهم وفرق كلمتهم وجعل بأسهم بينهم شديدا ذلك بأنهم قوم لا يعقلون .

ذكر هذا الضابط الباسل بل الضابط العاقل ان من الامور السياسية التي يجهلها الاوربيون كون الحكومة الشرعية في الاسلام مبنية على قواعد الدين والمبادىء الديموقراطية وان أعظم مصيبة ألمت بالمسلمين هي اتخاذهم الديموقراطية أساساً لحكومتهم وعدم حرصهم على البناء الذي شادوه فوقها ثم ذكر ان هذا الاساس هو الذي يبني عليه هيكل الوفاق بين فرنسا التي حكومتها ديموقراطية لا علاقة لها بالدين وبين الاسلام الذي تسوسه الديموقراطية الدينية .

لقد صدق الرجل فيما حكاه عن أساس الحكومة الاسلامية ويتذكر قراء المنار انا ذكرنا غير مرة ان الاسلام هو الذي وضع أصول الحكومة الديموقراطية المعتدلة ولكن العالم الانساني لم يكن استعد لها كمال الاستعداد ولذلك لم يتعد العمل بها زمن الراشدين حتى جعلت السلطة المطلقة للافراد، وسُمي الزعماء بالاستبداد ، فكان ما كان من الفساد والافساد. وأما اعتماد المسلمين على فرنسا في تكوين جامعتهم على الوجه الذي ارتآه فهو المرام الذي لا يدرك واللبانة التي لا تقضى. وكأني به وقد نسي أساس الديموقراطية

الذى عمل الخلفاء والملوك والمسلمون في نقضه من القرن الاول الى الآن فما استطاعوا له نقضاً وبقي المسلمون على ضعف الدين فيهم لا ينقادون ظاهراً وباطنا الا لشريعتهم السماوية. وخضوعهم الظاهر للحكام القانونيين منهم ومن غيرهم لا يطابق باطنهم ولولا العجز ما خضعوا ولا رضخوا. وهذا العجز لا يدوم لان طبيعة العمران قاضية بانه سيزول قريبا زوال سببه وهو الجهل العام بالشؤون الاجتماعية، الذي تقطعت بعداه روابطهم الملية. وقد علم الكاتب هذا ونبه عليه غير مرة .

هذه الجامعة لا تستطيع دولة أوربية تكوينها الا اذا دخلت في دين الاسلام وقد كتبنا في المنار من قبل ان الدولة الاوربية التي تدخل في الاسلام يمكنها ان تضم اليها العالم الاسلامي كله وان تمتلك به الدنيا بأسرها . نعم يمكن لفرنسا ان تعيش مع المسلمين بسلام وان توسع دائرة استعمارها لبلادهم اذا هي عاملتهم بالحسنى ولم تمس استقلالهم الديني بوجه ما. ويمكن أيضا للمسلمين ان يستفيدوا من انصراف عناية دولة كفرنسا الى الاستفادة من قوة الاسلام. ولكن من الذي يستفيد وماذا يستفيد وكيف يستفيد ؟ اترك الكلام في هذا لاجل ان تشتغل به الافكار وربما نعود اليه في فرصة أخرى

آثار علمية أدبية

﴿ سؤال وجواب . عن آيتين من الكتاب ﴾

رفع سؤال الى مولانا حجة الاسلام . وقدوة الانام . الشيخ محمد عبده مفتي الديار المصرية يطلب صاحبه فيه بيان الجمع بين قوله تعالى (وان تصبهم حسنة يقولوا هذه من عند الله وان تصبهم سيئة يقولوا هذه من